أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية ـ مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة ـ جامعة باتنة1 ـ الجزائر
....-.... EISSN المجلد 03 العدد 01 (مارس،2021م) ص101إلى 118 ISSN 2779-2940

اللغة السردية في رواية " زعيم الأقلية الساحقة" للروائي الجزائري عبد العزيز غرمول

The Narrative Language in the Novel "The Leader of the Overwhelming Minority" by the Algerian Novelist Abdelaziz Gharmoul

د.فريدة مقلاتي*

جامعة عباس لغرور خنشلة-الجزائر meguellati.farida@univ-khenchela.dz

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ القبول
2021/01/06م	2021/02/24م	

ملخص

إن الرواية الجديدة نمط إبداعي متميز يسعى إلى كسر الرتابة وتجاوز النمطي والمألوف سواء أكان ذلك على مستوى المضمون أو الشكل، وبذلك فهي ترفض الثبات والجمود، وتناشد التغيير والتحول، والتجدد وذلك بإعادة النظر في تقاناتها ومقاصدها، وسيدرس هذا البحث رواية " زعيم الأقلية الساحقة" للروائي "عبد العزيز غرمول"، فهي تنتمي من حيث بناؤها السردي ومضمونها الفكري إلى الرواية الجديدة؛ إذ سيتم استجلاء جماليات الرواية على مستوى التشكيل اللغوي، وقد تميزت الرواية بتنوع الأنماط السردية التي أسهمت في تجسيد البنية الداخلية. واتسمت من حيث الألفاظ، والتراكيب بالانسجام، والاتساق مع طبيعة المضمون، كما استخدام اللغة السردية، ولكنها دائما ذات صبغة فنية جمالية تنم عن قدرة الروائي الإبداعية.

الكلمات المفتاحية: اللغة؛ السرد؛ الرواية؛ الجديدة؛ الجمالية.

Abstract

The new novel is a distinctive creative pattern that seeks to break the monotony and transcend the stereotypical both on content and form. Hence, it rejects stability and immobility, and appeals for change, transformation, and renewal, by reconsidering its purposes and intents. The present study sheds light on the novel "The Leader of the overwhelming minority" of Abdel Aziz Gharmoul. According to its narrative structure and intellectual content, the novel belongs to the new style. The aesthetics of the novel will be revealed at the level of linguistic formation. In terms of words and structures, it is characterized by harmony and consistency with the nature of the content.

Keywords: language; narration**;** novel; new**;** aesthetic

* المؤلف المرسل

1.مقدمة

إن الرواية الجديدة تجاوزت النمطي، والمألوف بحثا عن تقانات جديدة لإقامة بناء سردي جديد، وذلك «توقا إلى تحقيق المغايرة من خلال أسئلة تهدف المتن والأبنية، والأنساق لغة وخطابا»(بوشوشة، 2003، ص7)، وبذلك فهي تحاول تحقيق التجديد على مستوى المضمون والشكل، فهي ترفض الثبات والجمود، وتناشد التغيير والتحول، والتجدد، فهي تدعو إلى ضرورة« مراجعة السائد من مفاهيم الممارسة الروائية وإعادة النظر في المألوف من أدواتها الفنية، وأدوارها، ومقاصدها في مرحلة تاريخية تميزت بتحولاتها العميقة، وتغيراتها محليا، وعالميا» (بوشوشة، 1999،ص375)، وهذا يعني أن التحولات والتغيرات الجديدة في المجتمع تفرض ضرورة التغيير في أنماط الكتابة السردية، وبما أن الرواية جنس مفتوح ومركب فإنها تمزج في بنيتها الداخلية بين أجناس مختلفة ولغات متعددة(الفصحى، العامية، اللغة المبتذلة، لغات المهن، اللهجات...). (بوعزة، 2010، ص 17)

وهذا يعني أن الروائي يعتمد على تشكيل لغوي خاص، وبخاصة أن لغة الرواية« هي التي تجعل منها فنا وتميزها، وتجعل قراءتها عملا ممتعا على صعيد الفكر والروح معا، ...فالرواية لا تجذب [القارئ] بعناصر فلسفية، أو تاريخية، أو اجتماعية أو فنية فقط، هناك شيء آخر إضافي سحري يجعل من العمل الروائي عن طريق عبقرية اللغة أو عن طريق التفجر اللغوي والوهج اللغوي يجعل من الرواية شيئا قائما بحد ذاته كعمل تنظر إليه وتتأمله، وتتعلق به وتتغنى به روحا وفكرا ...» (ماجدة، 1992، ص91) ، وبذلك فهو يحاول من خلالها نقل أفكاره وتصوراته، باستعمال الكلمات، فهي وحدها تغوص في عمق الذات لتخرج مكنوناتها من حالة الكمون إلى حالة الظهور، وهذا يستلزم قواعد وآليات لغوية

متميزة يتخذها الروائي كمطية للبوح عن مواقفه من بعض القضايا المصيرية التي تهم الفرد والمجتمع.

وبذلك ستنطلق هذه الدراسة من جملة من التساؤلات منها: ما هي الأنماط اللغوية الرئيسة التي أسهمت في تجسيد البنية الداخلية للرواية؟ وهل جاءت منسجمة ومتوافقة مع طبيعة المضمون؟ وهل استطاعت أن تصبغ الرواية بالصبغة الفنية وتُظهر دلالتها المقصودة؟

وانطلاقا من هذه التساؤلات تسعى هذه الدراسة إلى تحليل طبيعة اللغة السردية التي استعان بها الروائي، في إبداعه من حيث تبيان الصيغ السردية وعلاقتها بالسارد، وبخاصة أن الرؤية السردية هي التي تعكس لنا طبيعة اللغة التي يستخدمها السارد والتي تنتظم في نهاية المطاف في نسيج لغوي متكامل يعكس طبيعة اللغة التي اعتمد عليه الروائي لكشف مكنوناته، وأفكاره، وقناعاته.

وهذا التحليل سيكون تحليلا سرديا بحيث تكون فيه مقولات علم السرد هي أساس التحليل إضافة إلى منجزات آليات التأويل والقراءة.

تنتمي رواية "زعيم الأقلية الساحقة" من حيث بناؤها السردي ومضمونها الفكري إلى الرواية الجديدة، فقد طرحت «ثيمات حظيت باهتمام الروائيين منذ قرون مثل: الجنس، والدين، والسياسة إلا أن النصوص المعاصرة أو التي ظهرت في القرن العشرين أضفت على تلك الثيمات أبعادا دلالية مختلفة ...» (برادة، 2011، ص 74)، فجاءت روايته ك «وسيلة فاعلة في استكناه مخبوءات الظلال، وصوغ لغة نثرية تكشف وتعري، تستبطن ولا تقدس، تصرخ، وتفضح وتبوح...» (برادة، 2011، ص50).

وبذلك فهذه الرواية تحتوي على أحداث متنوعة تعكس طبيعة الحكم لدى "الزعيم" كما أن الفضاء الكتابي للرواية مقسما إلى أجزاء مرقمة من (1 إلى 12)،

ولكن دون عنوان، وكل قسم يحتوي على أحداث جديدة تبين طبيعة الآليات التي يستخدمها "الزعيم" (=الحاكم) لتوطيد مملكته، ولكن هذه المملكة هي "مملكة الليل"، فهو سيدها وآمرها المطلق، أما "مملكة النهار"، فهو لا يتدخل فيها إلا بالقدر الذي يحمي "مملكة الليل" التي هي منبع رصيده، وهذا التقسيم جاء بعد أن اكتشف أن الشعوب تنقسم إلى قسمين« شعب نهاري يعيش على العشب والمشاكل، وشعب ينعم بفاكهة النهار وغفلته» (غرمول، 2016، ص 9)، وقد عالج الكاتب في روايته السياسة وأنفاقها المظلمة، فمن خلال هذا الزعيم (=الحاكم الطاغية) الذي نصب نفسه بدهائه وعبثه وقوته؛ أي كما قال: «صنعت نفسي بيدي» (غرمول، 2016، ص5) بيّن طبيعة الحاكم المستبد الذي له فلسفة خاصة في الحياة، ففلسفته هي«المال هو مبنى الرجل ومذهبه في الحياة، أما الباقي جعجعة بلا طحين» (غرمول، 2016، ص13)، وبذلك حاول الروائي استيعاب الواقع، وتمثيله في بناء إبداعي قادر على نقل أفكاره، وتصوراته حول أزمة المجتمعات العربية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

2-اللغة والسرد

عرف "جيرار جنيت "(**Gerard Genette**) السرد بقوله: «هو قص حادثة واحدة أو أكثر خيالية أو حقيقية» (جنيت، 1997،ص 40) وهو أيضا «الكيفية التي تروى بها القصة» (لحمداني ج.، 1991،ص 45) ونعاين أن السرد هو تقانة يعتمد عليها السارد ليقدم المادة المحكية، ولكن السرد لا يتم إلا باستعمال اللغة، فكل المادة المحكية المكونة من أحداث وشخصيات، ومكان، وزمان لا تنقل إلا بواسطة اللغة، لذلك نجد "محمد عبد المطلب" قد أقر أن «المادة المحكية بمكوناتها الداخلية من الحدث والشخوص، والزمان والمكان هي مكونات أنتجتها اللغة بكل طاقاتها الواصفة والمحاورة، والشارحة، والمغلقة » (المطلب،

2007،ص16)وبذلك فهذه المادة المحكية بكل مكوناتها لا تظهر إلا باللغة، فوحدها القادرة على تحويلها إلى عمل سردي، و«كلما أجاد الروائي أساليب السرد المعبرة عن موضوعه الملائمة لأحداث روايته وشخصياته كان حظه من النجاح كبيرا» (إبراهيم ع.، 1993، ص191) وبخاصة أن الرواية «سرد لمجموعة من الأحداث ورصد الشخصيات ولعلاقات معينة تحكمها مجموعة من الروابط السردية التي تكون عالم الرواية، ولا يمكن الولوج إلى عالم الرواية إلا انطلاقا من الرموز التي يشكلها السرد» (خمري، 2001،ص147)، وعليه فالسرد هو مرتكز الرواية وعليه يعتمد الروائي في تقديم مادته، وبذلك فالرواية نمط سردي «يشخص الوجود عبر تطويع اللغة المعيارية بغرض تقديم واقع تخييلي يسمو على الواقع الفعلي ويتجاوزه إلى طرح رؤية ممكنة التحقيق، ذلك أن الرواية تضطرب في تشخيصها للعلاقة بين الفرد والمجتمع بين وعي قائم ...ووعي ممكن...» (**سيدي محمد، 2016،ص 13**) وبذلك نجد أن اللغة السردية تهتم بعلاقة الرؤية السردية بالسارد، وتهتم أيضا بمستويات اللغة السردية، وهذه الآليات مترابطة إذ لا نشعر بالتفكك أو الفجوات، بل نشعر بالترابط والتناسق، فكل الأمور متوالدة من بعضها البعض بواسطة اللغة، فوحدها القادرة على نقل الحدث ، وتجسيده كتابيا.

3- الرؤية السردية والسارد

يعد السارد تقانة أساسية يعتمد عليها الروائي لتقديم مادته الحكائية، فهو« الشخص الذي يروي الحكاية، أو هو الصوت غير المسموع الذي يقوم بتفصيل مادة الرّواية إلى المتلقي، وقد يكون هذا الراوي أحد شخصيات الرواية، فيقدم ما يشاهد أمامه، ما يشارك في صنعه، أو يسمعه من أحداث وقد يكون صوتا خفيا غير موصوف، ولا مجسد ماديا في عالم الرواية؛ لكنه يقدم الأحداث

دون أن نعرف علاقته بها» (إبراهيم ع.، 1993، ص117) وهذا يعني أن السارد جزء أساسي في الرواية ينقل مادة الرواية إلى المتلقي وترتبط هذه التقانة مباشرة بالرؤية السردية، و« هي تلك النقطة الخيالية التي يرصد منها العالم القصصي المتضمن في القصة»، (الكردي، 1996،ص17) وقد ميز "تودوروف" (Todrov Tzvetan) بين ثلاثة أنواع من الرؤية السردية: الرؤية من الخلف(vision par derrière)، الرؤية مع (vision avec)، الرؤية من الخارج (vision de dehors) (تودوروف، 1992،ص58) وقد تميز مفهوم "تودوروف" لمفهوم الرؤية السرية بالوضوح النظري والتكثيف كما أنه أقام حدودا فارقة بشكل واضح بين أشكال الرؤية السردية، كما اقترح قرائن نصية ومؤشرات لسانية واضحة تُساعد على ضبط، وتحديد كل نمط من أنماط الرؤية السردية (بوعزة، 2010، ص 76)، وبذلك الرؤية السردية تتعلق بالكيفية التي يتم بها إدراك القصة من طرف السارد. (بوعزة، 2010، ص 61).

وبذلك فاللغة السردية لها علاقة مع السارد، والرؤية السردية هي التي تعكس لنا طبيعة اللغة التي يستخدمها السارد، وبخاصة أنها تتعلق بالسارد وتخضع لتصوراته وأفكاره، فهي تكشف نمط السارد الذي «يقف خلفها فهما متداخلان مترابطان، وكل منهما ينهض على الآخر، فلا رؤية دون راو، ولا راو دون رؤية». (إبراهيم ع.، 1993، ص 62)

وإذا تصفحنا رواية "زعيم الأقلية الساحقة" نجد أن الروائي استخدم في لغته السردية ضمير المتكلم؛ إذ نعاين أن ثمة سارد يروي أحداث الرواية باستخدام ضمير المتكلم (أنا)، وهذا النوع يؤدي دورين دور السارد، ودور الشخصية المشاركة في أحداث الرواية، وبخاصة أن ضمير المتكلم «يذيب النص السردي في الناص فيجعل القارئ ينسى المؤلف وهكذا يستطيع التّوغل إلى أعماق النفس البشرية فيعريه بصدق ويكشف عن نواياها...» (مرتاض، 1991، ص 13)

، ولهذا قد تجلت خاصية التداعي والمونولوج الاستذكاري وهذا ما أعطي للرواية ميزة جمالية خاصة تبهر القارئ.

إذًا استخدم السارد ضمير "الأنا/المتكلم" ليقدم خلاصة تجربته كزعيم متحكم في جمهورية الليل، ويكشف عن حقائق جمهوريته الليلية، وكيف أسسها؟ وما هي الطرق التي استعملها لجمع الضرائب؟ يروي "الزعيم" بضمير "الأنا" في الزمن الحاضر عن الجمهورية التي أسسها وترأسها إلى أن تجاوز الخامسة والثمانين من عمره، ومع السرد تتجلى مسافة زمنية، تفصل بين ما كان وما وصل إليه؛ مسافة تعتمد على اشتغال الذاكرة، وتسمح بإعادة جمع أطراف مملكته، وهذا ما تجلى في قوله:« أعرف أنه من الصعب تفهمي لكنني لا أكتب كل هذا كي يفهمني أحد أريد بكل بساطة أن أجمع أطراف مملكتي في يدي، وأن ألمس حدودها وأحدد بافتخار الطرق الجهنمية التي حكمتها بها وأخيرا رؤية مدى ما تراه يدى (غرمول، 2016، ص8)، وفي كل أجزاء الرواية المرقمة من (1-12) بطل "زعيم الأقلية الساحقة" هو الذي يقوم بسرد الأحداث باستخدام ضمير المتكلم، فهو شخصية وسارد في الوقت نفسه بحيث يسرد قصته(كنت، عرفت، تعلمت، أعرف، أكتب، قلت، قسمت اكتشفت، أعترف اخترعت، أردت)، واستخدم ضمير المتكلم/نحن، وذلك في قوله: «نحن أولاء نرى الكثير من الشعوب في العصر الحديث لا تشبع خبزا ولحما ورغم ذلك تتراكم السلع الكمالية على رفوف أسواقها» (غرمول، 2016، صفحة 145)، وعليه فالمتلقي يتلقى الأحداث مباشرة من الشخصية-السارد دون وسيط يذكر، وتقريبا هو الضمير المسيطر على أحداث الرواية.

ويستمر السارد في قصه عن ذاته من الداخل حيناً، ومن الخارج حيناً آخر، من خلال التداعي والاسترجاع معتمداً على ذاكرته كمصدر أساسي، وقد أشار

السارد إلى ذلك في بداية الجزء المرقم بـ (1) بقوله: « كنت ملك الجزائر وما والاها من الضواحي أحكم مملكتي بالقوة والعبث أمشي في أسواقها مختلا على رأسي تاجي وفي يدي صولجاني محاطا بحرسي...دون شك كانت دعوة أحد الزبائن مقبولة عند الله فأبقاني حيا حتى الخامسة والثمانين رغم المسدسات التي صوبت نحوي...». (غرمول، 2016، ص218) استحضر السارد كل الوقائع والذكريات، فهو يصف أثر طفولته في تكوين شخصيته وبخاصة أنه كان يلقب باللقيط، واسترجع عن طريق ذاكرته، وهو في الخامسة والثمانين مراحل تأسيس مملكة الليل التي كان هو زعيمها، وبين طبيعة الأساليب المتبعة في سبيل تكديس الأموال، فهو بلا قلب، فهذا الأخير بالنسبة إليه مهمته هي ضخ الدم فقط، فهو يسحق كل من يقف في طريقه، وبخاصة الذين جمعوا الأموال بالطرق غير شرعية، فهو خبير في كيفية سلبها إياهم، فالسارد استخدم ضمير الأنا؛ لأنه رهين التذكر، يتحدث عن مملكته الخاصة به وحده، فهو يسعى إلى جمع أطراف مملكته وتقييم طبيعة علاقة الذات بماضيها (المملكة الليلية) استنادا إلى رؤية لا تعكس مدى نجاحه فقط، بل تعكس وجوده واستمراره في الحياة، وتجلى ذلك في قوله: «إنني أشعر وكأنني كنت دائما هنا، ...تجتاحني تلك الفكرة الرهيبة التي تشعرني أنني أقف خارج الزمن وأن أجيالا وأجيالا تولد على يدي وتموت على يدي، وكأنني هنا منذ قرون منذ القرن الأمس أو السادس عشر متعاليا في أزمنتي أعبر السنين والأجيال بحرية مطلقة ...أعبر العصور والأجيال أعيش دون غضاضة وأحكم دون غضاضة أنا هنا ..كلما ولد أحدكم في هذا المكان أول ما يفتح عليه عينيه هو أنا...يكبر مواطنا سعيدا إذا كان من فئة دافعي الضرائب وشقيا إذا شق عصا الطاعة... » (غرمول، 2016، ص 219)، فهذا "الزعيم" يرمز إلى استمرارية الاستبداد فكأنه متوارث ينتقل من جيل إلى آخر دون انقطاع.

ولكن هذا لم يمنع من استخدام ضمير الغائب في لغته السردية، وذلك لتحقيق نوع من الاختلاف على المستوى الأسلوبي، وتحقيق الجدة على مستوى صياغة التراكيب اللغوية، ونجد ذلك أثناء حديث "الزعيم/السارد" عن رعايا مملكته أو دافعي الضرائب أمثال "الكولونيل محيرقة" الذي وصفه بعد أن حدد له قيمة الضريبة بقوله:« نفرت دمعة من عينيه...راح يصرخ ورائي حين عرف أنه يفقد مبلغا عاليا بفوائد عالية...» (غرمول، 2016،ص 212) ، وأيضا طبيب الأسنان "علوان"؛ إذ وصفه بقوله: « كان دائم الشحذ والتبييض لأسنان أكلة اللحوم والعضاضين محترما ومدفوع الأجر من طرف الجميع غير أن موت لالاهم ذات الفم الذهبي...كشف للورثة الذين اقتلعوا أسنانها أنها مجرد معدن أصفر رخيص دفعت ثمنه ذهبا خالصا». (غرمول، 2016، ص 120).

وتجلى هذا أيضا عندما تحدث عن "ابن باطول" بقوله: «كان ابن باطول مثل حانوت مواد غذائية عامة يبيع لكل زبون السلعة التي يحتاجه حتى اكتسب الكثير من الزائن وأصبحوا يدفعون له رسوم الانخراط في حزبه حزب الأمل كان أسماه...أغلق الحانوت وبدأ يمشي في الأسواق يبشر الناس بقرب ظهور نبي اسمه الأمل ...كان قد بدأ في شكل لعبة، ولكنه تحول بسرعة إلى مشكلة..» (غرمول، 2016،ص ص140-141) ، وأيضا في حديثه عن جمهورية النهار بقوله: « حاولت جمهورية النهار أن تفرض علينا منطقها الخاص بإرادتها الثقيلة، وشرطتها اليقظة وعمالها الفرحين بوطنيتهم، ونواياها التي لا تجلب سوى مصاريف جيب...». (غرمول، 2016، ص164)

كما استخدم ضمير الغائب أثناء حديثه عن بعض الشخصيات التاريخية، وذلك أثنا حديثه عن أفضل صديق للملوك الكبار المتمثل في سيفهم؛ أي مدى قوتهم، وسيطرتهم مثل "نابليون"بقوله: « كان يباهي مؤرخيه، ويطلب منهم أن

يضيفوا طول سيفه الذي يمتد من أوروبا شرقا حتى مصر جنوبا لطول قامته الذي لا يزيد عن المتر، وثمانية، وخمسين سنتيمترا» (غرمول، 2016، ص 196)، وأيضا "هتلر" كان« يقيس قامته بمدى رمي دباباته الذي كان يصل عموديا من برلين غربا إلى ستالينغراد شرقا...» (غرمول، 2016، ص197) ، وأيضا "هولاكو" «كان قوة استيلاء عظيمة يدمر كل ما يجده في طريقه من أجل تكديس أموال المدن المهزومة...» (غرمول، 2016، ص 213) ، ولكن أحيانا معرفة السارد تتساوى مع معرفة الشخصية، فلا يقدم لنا إلا ما توصلت إليه الشخصية، وتجلى ذلك في حديثه عن "عيشوش" بقوله: « لكنها قالت لرسولي: قل له لا يمر في طريقي لأنني سأحشر ذراعي في مؤخرته» (غرمول، 2016،ص 253)، وتجلى أيضا حديثه عن "عبدول البارمان" بقوله: « ..كان يضع بين مبادئه في حياة النذل التي كان يعيشها قاعدة شهيرة قال: كلما فتحت حانة كلما أنقصت صفا من وراء إمام المسجد الذي تطاردنا تعزيزاته وعظاته...» (غرمول، 2016، صفحة 212)، فمعرفة السارد مساوية لمعرفة الشخصية الروائية، فهو مصاحب للشخصية يتبادل معها المعرفة بصيرورة الأحداث، ولذلك تسمى الرؤية مع بالرؤية المصاحبة، والرؤية مع / السارد= الشخصية. (بوعزة، 2010، ص80)

وقد تميل بنية السرد أحيانا إلى تقويض سلطة السارد الذي تصدر السرد، فيتحول إلى مجرد ناقل للحكي، وبذلك يبقى هناك حائل بينه وبين ما يروي، فقد يروي ما شاهده الآخرون، وتجلى هذا النمط في حديثه عما روته الصحف عن وزير من جمهورية النهار الذي وجد مقتول وذلك بقوله:« كتبت الصحف أن طالب لجوء سياسي كان وزيرا سابقا في جمهورية النهار وجد مقتولا في كاراج العمارة التي يسكن بها بحي راق من أحياء العاصمة باريس...» (غرمول، 2016،ص 163) ، فهو يروي ما نقلته الصحف، وأيضا نقل لنا السارد ما جاء في عناوين الصحف حول قضية الفساد المتعلقة بـ"الكولونيل

المتقاعد محيرقة" بقوله: «...صدرت عناوين صحف اليوم بالشكل التالي: إنها أكبر قضية فساد، وتزوير، وتخريب للاقتصاد الوطني والمساس بالأمن القومي...يعرفها بلدنا المحمي بالأخلاق والقيم ...، وأضاف له صحفيون ذوو نذالة جيدة: لقد أصبح من الضروري تطهير البلد من الفساد قبل أن يطهر الفساد البلد منا...» (غرمول، 2016، ص 55).

ولكن يبقى ضمير المتكلم المسيطر على اللغة السردية؛ لأنه يشير إلى الداخل بينما ضمير الغائب يشير إلى الخارج، وبذلك فضمير المتكلم عكس لنا ذات الزعيم؛ لأنه في نهاية الأمر قدم لنا خلاصة تجربته في الحكم، وهو أمر شخصي وتجربة خاصة خاضها فاعتمد على التداعي والمونولوج الداخلي أحيانا في تقديم هذه التجربة، وبذلك فطبيعة الموضوع تستدعي الضمير الذي يقودنا إلى الداخل (=الذات).

كما يتجلى لنا من خلال طبيعة العلاقة التي تربط بين السارد والصيغ السردية شيوع الصيغ اللفظية الدالة على صيغة الماضي (فعل)، وهي صيغة يقتضيها السرد؛ لأن السارد قدم لنا تجربته في الحكم بعد وصوله إلى الخامسة والثمانين، فاعتمد على ذاكرته في استرجاع هذه التجربة التي اكتملت، وهو يعرضها من وجهة نظره، ووفقا لرؤيته الذاتية الخاصة وبخاصة أنه شخصية رئيسة من شخصيات الرواية، وقد **طغت الجملة الفعلية على النص الروائي، فجاء متحركا بين الماضي والمضارع، ولكنه أكثر من توظيف الفعل الماضي، وهذا يشير إلى طبيعة المحكي المتخيل**، ولكن المقاطع الأخيرة من الرواية طغى عليها الفعل المضارع؛ لأن الشخصية/الزعيم عاد إلى زمن الحاضر وهو في لحظاته الأخيرة (أبحث، أسمح، يرث، يستغل، يبدأ، أشعر، تعرفون يفتح، يتنفس، أذهب، تركعون، أخرج، أتفرج، ...) ، إذ صور لحظاته الأخيرة، وصور موقفه الساخر من

شعبه حتى في موته، وتجلى ذلك في قوله: « ..أذهب وحيدا كما جئت وحيدا لن أترك فيكم ملكا يرث سيأتي وعبثي رحمة بكم أيها الأوغاد الجبناء...». (غرمول، 2016، ص219)

كما استخدم الروائي أيضا بعض الصيغ الدالة على المستقبل ولكنها قليلة؛ لأن الشخصية-السارد على مشارف النهاية إذ يقول: «سأترك وصية قبل خروجي من الباب الخلفي للحياة...سأترك كرسي الملك في الساحة العامة وعليه يدي...فإذا ما اختلفتم وتعاركتم حول تفاهتكم اليومية...تقاضوا عندها وارضوا بحكمها...إلى أن يجيئكم ذات يوم فاسد كبير مثلي فيلبسها ويبدأ في ضربكم على إلياتكم السمينة...» (غرمول، 2016، ص218) وقوله أيضا: «سأذهب وحيدا كما جئت وحيدا...سأترك هذه الساحة التي قتلت فيها بعضكم غيلة وأقسرت بعضكم فيها على دفع الضرائب غصبا عنه...سأترك مسدسي منتصبا كعضو حمار هناك في أعلى الساحة...سأخترع من أجلكم حفلة موتى كي أخرج من المشهد نظيفا ...أعرف أنكم ستزورن قبري قليلا..وسأواصل من قبري إدارة عواطفكم وشؤونكم يا رعاياي وخصومي الألداء... » (غرمول، 2016، الصفحات 219-220-221) نعاين من خلال اللغة السردية أن طبيعة النص الروائي فرضت بناء لغويا خاصا يعكس نمط العلاقة التي تربط بين الصيغ السردية والسارد.

4- مستويات اللغة السردية

إن اللغة هي الآلية الكاشفة؛ أي التي تخرج أفكار وتصورات الروائي من الحالة الكمون إلى حالة الظهور؛ أي أنها تزيح عنها صفة الغيبية، وتصبغها بصفة التجلي والوضوح، وبخاصة أنه «باللغة تنطق الشخصيات وتتكشف الأحداث وتتضح البيئة، ويتعرف القارئ على طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب» (عثماني، 1982،ص45) وعليه فاللغة هي الجسر الرابط بين الروائي والمتلقي،

وبذلك فلغة السرد هي«الطريقة التي تحكى بها الرواية بداية من الراوي وصولا إلى المروي له مرورا بالقصة المحكية» (لحمداني ح.، 1991، ص45)، وبما أن أساليب السرد متعددة فهذا يعني أن أساليب التشكيل اللغوي أيضا متعددة، والقارئ لرواية "زعيم الأقلية الساحقة" سيكتشف أن اللغة السردية تجلت في نمطين: اللغة السردية المباشرة، واللغة السردية التجسيدية.

1. 4 -اللغة السردية المباشرة

تتميز بالمباشرة والتقريرية، ولكنها ذات صبغة فنية، وقد استخدم الروائي هذا النمط في روايته، وتجلى ذلك في قول السارد: «كنت ملك الجزائر وما والاها أحكم مملكتي بالقوة والعبث أمشي في أسواقها مختلا...محاطا بحرسي...». (غرمول، 2016، ص 5) فلغة هذا المقطع تميل إلى الإخبار، فهو عمل على إيصال معلومات عن شخصيته بطريقة مباشرة، وتجلى ذلك أيضا في قوله: «هكذا كانت تلك التي تدعي أنها أمي كلما ازداد الزبائن كلما طمعت في المزيد، حتى أن بعض بناتها الجميلات اللواتي لم يكن يغادرن غرفهن ولا يلبسن ثيابهن إلا للذهاب إلى الحمام...» (غرمول، 2016، ص 26).

نعاين أن هذا المقطع السردي تميز بالبساطة والمباشرة في تصوير جشع أمه، الذي تجلى من خلال استغلال بناتها الجميلات، وذلك بممارسة البغاء. وقوله أيضا:«ليست لي عواطف ولا أحاسيس شخصية ...أنا مجرد ملك يؤدي واجباته السلطوية إزاء رعاياه أحيانا ببعض الصلف والتسلط ... » (غرمول، 2016، ص85) يصف هذا المقطع السردي بطريقة مباشرة كيفية معاملة الملك لرعاياه دون مجاملة ولا تغطية، فهو مباشرة يبين طبيعة سلوكه اتجاه سكان مملكته، و نلاحظ أن الروائي استخدم في هذه المقاطع السردية وغيرها اللغة المباشرة ليعبر

عن مواقفه، وأهدافه وهي لغة بسيطة ولكنها تمكنت من تجسيد ما أراده الزعيم؛ أي أن الروائي استطاع أن يحقق مبتغاه من خلال هذه اللغة البسيطة والمباشرة.

2. 4 -اللغة السردية التجسيدية

يستخدم الروائي في هذا النمط لغة حبلى بالرمزية والإيحائية يحاول من خلالها نقل أفكاره وتصوراته، وبخاصة أن هذا النمط يحقق التشويق والمتعة في القراءة كما أنه الجسر الرابط بين المبدع والمتلقي، فهي«لغة تقترب من عالم الشعر جميلة وسليمة تلامس شواطئه وتستعير منه تلك الصور الخيالية الجميلة في لغة تميل إلى الاكتناز والامتلاء والصياغة الغنية بالإيحاءات والصور والألوان، والأصوات المتعددة» (حمدان، 2008،ص120). وعليه فهذا النمط يعتمد الأساليب البيانية (الكناية، التشبيه، الاستعارة...)، وعلى الألفاظ والرموز الحبلى بالدلالات الموحية المتنوعة، ويتجلى هذا النمط على مستوى الجمل، والفقرات، ومنها ما يلي:

ـ «كانوا متعالين في أبراجهم عن أقوال السوء وبعيدين تماما عن الأيدي الطويلة». (غرمول، 2016، ص23)

ـ «تفرح بوقوف صفوف من مشتعلي الخصي أمام غرفهن... يحرصون سمعتها الهشة كبيض الدجاج». (غرمول، 2016، ص 26)

ـ «ما يترتب عن ركل الانضباط هو نشر الفوضى ...يقبلون سلم القيم على رأسه فيسقط كل متسلقيه وتسقط من جيوبهم القطع النقدية... كلما تسلق الجهل أكتاف الناس كلما افتقدوا الأرض الصلبة تحت أقدامهم ... تسويق الكذب كمشروب روحي مسكر وربما تسليف سلم القيم للجيران لتبيض جدرانهم». (غرمول، 2016، ص 32،33،36)

ـ «إنني ممن يعتقدون أن زراعة الخوف ...تجعل الشعوب مطيعة». (غرمول، 2016، ص 39)

ـ «لمدة خمسين سنة حكمت بقبضة من حديد أرضا تمتد من البحر إلى البحر». (غرمول، 2016،ص45). وغيرها من الجمل، وبخاصة أن الرواية مفعمة بهذا النمط، ونعاين أن الروائي قد انتقى جل ألفاظه الموحية، إذ نجد جملا تجاوز فيها المعنى الحقيقي إلى المعنى الخيالي (الكناية) :(حكمت بقبضة من حديد) كناية عن القوة، و(مشتعلي الخصي) كناية عن الشهوة الجنسية المحرمة، كما نقل الألفاظ عن موضع استعمالها في أصل اللغة ليعكس فهمه للسلطة بطريقة غير مباشرة، إذ أصبحت القيم إنسانا يُقَبل، والانضباط شيئا ماديا يركل، وجعل الجهل متسلقا للأكتاف، والكذب سلعة تباع، والخوف بذور تزرع.... اعتمد الروائي على خياله ليصوغ جملا مفعمة بدلالة تتساوق مع طبيعة الحدث الروائي الذي أرداه الروائي من خلال عمله الإبداعي، وعليه فالتشكيل اللغوي ينزاح عن المحمول الحقيقي للغة، لينقل لنا ما يجول في ذات الزعيم، وبخاصة أنه عاد بذاكرته بعد أن بلغ خمسة وثمانين سنة إلى أيام حكمه فكانت اللغة هي الجسر الرابط بين الماضي والحاضر، بواسطتها أعاد بناء مملكته ليقدم بذلك خلاصة تجربته في ممارسة الحكم.

كما تميزت لغته بالبعد الفلسفي، والذي حاول من خلاله معالجة علاقة الحاكم بالمحكوم، وحقيقة وجوده، وتجلى ذلك في قوله: «الكل يعرفني.. والكل لا يعرفني..إنني حاضر بينهم...موجود في أدمغتهم...موجود حتى في الأوراق النقدية...لكنني في الوقت نفسه بعيد..عال..غامض يمد أي أحد منهم يده ليتبرك بملامستي فلا يلمسني...يبحث عني القتلة والخصوم ...لكنني أتبخر بين أيديهم كما تتبخر سكراتهم حين يرونني... » (غرمول، 2016، ص 111).

وقوله أيضا في حقيقة الإنسان: «...الإنسان ليس ماضيا ولا مستقبلا وإنما هو حاضر...حاضر فقط دون أبعاد ولا أفكار مسبقة...الإنسان هو هذا الواقف

هنا...يتحرك..يعمل...يدفع الضرائب...يعاكس امرأة عابرة...يضع بيده خطأ في جيب إنسان آخر..هذا هو الحاضر...أما الذين يعيشون على فاكهة الأسلاف أو آمال غير ملموسة فإنهم يبيتون جوعى» (غرمول، 2016، ص110). وغيرها من الفقرات التي تعكس طبيعة التفكير عند "الزعيم/السارد" وتبين الأفكار والتصورات التي اعتمد عليها في تشكيل مملكته الليلية، واللغة المستخدمة تخدم طبيعة الموضوع (القوة والسيطرة).

5- خاتمة

تهتم اللغة السردية بعلاقة الرؤية السردية بالسارد، وتهتم أيضا بمستويات السرد، وهذه الآليات مترابطة إذ لا نشعر بالتفكك أو الفجوات، بل نشعر بالترابط والتناسق، فكل الأمور متوالدة من بعضها البعض بواسطة اللغة، فوحدها القادرة على نقل الحدث، وتجسيده كتابيا، ولعل من أهم النتائج التي توصلنا إليها بعد محاورة النصوص السردية الواردة في رواية "زعيم الأقلية الساحقة ما يأتي:

ـ سيطر ضمير المتكلم على اللغة السردية؛ لأنه يحيل إلى الداخل بينما ضمير الغائب يحيل إلى الخارج، وبذلك فضمير المتكلم عكس لنا ذات الزعيم؛ فهو قدم لنا خلاصة تجربته في الحكم، وهو أمر شخصي وتجربة خاصة خاضها فاعتمد على التداعي والمونولوج الداخلي أحيانا في تقديم هذه التجربة وبذلك فطبيعة الموضوع تستدعي الضمير الذي يحيل إلى الداخل.

ـ شيوع الصيغ اللفظية الدالة على صيغة الماضي (فعل)، وهي صيغة يقتضيها السرد؛ إذ اعتمد السارد على ذاكرته في استرجاع تجربته التي اكتملت، وهو يعرضها من وجهة نظره، ووفقا لرؤيته الذاتية الخاصة، وبخاصة أنه شخصية رئيسة من شخصيات الرواية.

ـ طغيان الجملة الفعلية على النص الروائي، فجاء متحركا بين الماضي والمضارع، ولكنه أكثر من توظيف الفعل الماضي، وهذا يشير إلى طبيعة المحكي المتخيل.

ـ استخدام اللغة السردية المباشرة والتي استطاعت أن تعكس تصورات ورؤى متنوعة للزعيم بطريقة مباشرة، وتجلت وظيفتها في الإخبار والتبليغ، ولكنها دائما ذات صبغة فنية جمالية تنم عن قدرة الروائي الإبداعية.

ـ استخدام اللغة السردية التجسيدية التي تنم عن الانزياح وتجسيد لغة حبلى بالرمزية والإيحائية القادرة على نقل الأفكار، والتصورات، ولكن بطريقة غير مباشرة تحتاج إلى إعادة النظر، وبخاصة أن هذا النمط يحقق التشويق والمتعة في القراءة كما أنه الخيط الرابط بين المبدع والمتلقي، فهي لغة تتسم بالفنية والجمالية.

ـ تمظهر البعد الفلسفي في الناحية اللغوية التي عالج من خلالها قضايا الوجود والإنسان، وعلاقة الحاكم بالمحكوم.

6. قائمة المصادر المراجع

1. بوشوشة بن جمعة. (1999). اتجاهات الرواية في المغرب العربي. تونس: المغاربية للطباعة والنشر.
2. بوشوشة بن جمعة. (2003). التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي. تونس: المغاربية للطباعة.
3. تزفيطان تودوروف. (1992). مقولات السرد الأدبي (ط1). (الحسين سحبان وفؤاد صفا ضمن كتاب طرائق تحليل السرد الأدبي، المترجمون) الرباط: منشورات اتحاد كتاب المغرب .
4. جيرار جنيت. (1997). خطاب الحكاية: بحث في المنهج (ط2). (محمد معتصم، وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلمي، المترجمون) مصر: الهيئة العامة للمطابع الأميرية.

5. حسين خمري. (2001). فضاءالمتخيل دراسة أدبية (ط1). سوريا- دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
6. حمود ماجدة. (1992). النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات. نيقوسيا: عيبال للدراسات والنشر.
7. حميد لحمداني. (1991). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي (ط1). بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
8. عبد الرحيم الكردي. (1996). الراوي والنص القصصي. القاهرة-مصر: دار النشر للجامعات.
9. عبد الرحيم حمدان. (00 يونيه, 2008). اللغة في رواية تجليات الروح للكاتب محمد نصار. مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإنسانية .
10. عبد العزيز غرمول. (2016). زعيم الأقلية الساحقة (طبعة مزيدة ومنقحة). الجزائر: منشورات القرن 21.
11. عبد الفتاح عثماني. (1982). بناء الرواية: دراسة في الرواية المصرية (دط). القاهرة، المنيرة: مكتبة الشباب.
12. عبد الله إبراهيم. (1993). المتخيل السردي: مقاربات نقدية فيالتناص والدلالة (ط1). بيروت-الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
13. عبد الملك مرتاض. (1991). تحليل الخطاب السردي: معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق" (المجلد دط). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
14. محمد برادة. (2011). الرواية العربية ورهان التجديد. دبي: دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع.
15. محمد بوعزة. (2010). تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم. بيروت-لبنان.: الدار العربية للعلوم ناشرون.
16. محمد عبد المطلب. (2007). بلاغة السرد النسوي (المجلد دط). القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
17. ابن مالك سيدي محمد. (2016). جدل التخييل والمخيال في الرواية الجزائرية (دط). الجزائر: ميم للنشر.